# 1 سافو

**الشاعرة اليونانية، التى اعتبرها «أفلاطون» الراية العاشرة للفنون التسع. وكان «سقراط» يسميها: الجميلة.**

**ابتكرت مقطوعات شعرية عُرفت باسمها وهو ما يعرف الآن بالرباعيات. واخترعت قيثارة، بها واحد وعشرون وتراً كانت ترافقها دائماً كلَّما غنت قصائدها.**

**أنشأت أول مدرسة فى التاريخ لتعليم الفتيات فنون الشعر والموسيقى والرقص والإعداد للزواج أيضاً.**

**قال البعض بأنَّها انتحرت بأنْ ألقت بنفسها من على جبل ليوكادرن!!**

**(كن ملتاعات من بهاء النجوم القريبة للقمر الحبيب الذي يغطي وجوههن المشرقة حينما يكون في أكمل استدارة له ناشرًا ضوءه الفضي على الأرض).**

**تمهيد :**

فى حياة الشاعرة اليونانية «سافو» Sappho بعض الأساطير وبعض الخيال . ولا تكاد أشعارها التى تركتها تنبئنا عن سيرتها بالشىء الكثير . كما أن بعض المؤرخين الذين تناولوا حياتها وأشعارها بالنقد والتحليل قد مالوا إلى التجنى على الشاعرة التى نذرت نفسها للحُبِّ تُعلِّمه أفضل ما تستمتع به، وتغنى له أفضل ممَّا تعيشه وتحياه .

بعض الغموض سيكتنف مسارات حياتها، فنحن قد نجد فيما دونته السير أكثر من تواريخ تقريبية لمولدها، وإشارات مبهمة لزواجها، وأسباب متجنية لنفيها من وطنها .

وحين يتناول النُقَّاد بالدراسة سيكتبون عن عصرها باستفاضة، ويتواترون التهم التى لحقت بها دون دحض لها . لكن يبقى أن «سافو» شاعرة مُلْهمة وعظيمة .

**سمات عصرها :**

عاصرت جزيرة «ليسبوس» Lesbos اليونانية فى القرن السادس والسابع قبل الميلاد، عصراً من ازدهار الأغنية اليونانية، ولم تكن الشاعرة «سافو» وحيدة ذلك العصر المزدهر، لكنها كانت فريدته ودرة تاجه، فى حين غاب مفهوم العاصمة الواحدة عن العالم الناطق باليونانية آنذاك، نجد أن «ميبلين» وما جاورها من مدن على الشاطئ، آسيا الصغرى، فوكايا phocaea، ميليتوس Miletus، ايفيسيوس Ephesus، وسيمرنا Smyrna، كانت جميعها من أكثر التجمعات اليونانية ثراءً واستقراراً حينها . وازدهر فى دوديكانيس Dodecanese تلك الجزيرة الصغيرة جنوبى شواطئ ليسبوس الفن والأدب معاً . ومن هنا كانت إشراقة «سافو» فى أوج ذلك العهد المزدهر .

**الميلاد وذكريات الطفولة :**

يُرجح أغلب الباحثين أن مولد الشاعرة «سافو» أو «بسافا» كما كانت تسمى نفسها بلهجتها الأيولية الرقيقة كان فى «ميبلين» Myblene بربوع جزيرة ليسبوس فى العام 612 ق.م .

وقد اختلف اسم الأب من مؤرخ لآخر، فهو سكاماند رونيموس، أو يورجيوس، أو سيمون، أو يونينيوس، أو إيواركوس، أو إكريتوس، أو شيموس، وإن اتفقوا على اسم أمّها «كليس» .

كما زعموا بأن لها ثلاثة أخوة أحدهم هو «خاراكسوس» أصغر إخوتها والتى أصبحت وثيقة الصلة وشديدة التعلُّق به . وقد حدثنا المؤرخ الإغريقى الشهير «هيرودوت» عن القصة التى أثارت «سافو» حتى أنَّها كتبت بعض القصائد حيث ذكرت فيها أخاها هذا. وتتلخص القصة فى أن أخاها قد رحل فى رحلة تجارية إلى «ناوكراتيس» المستعمرة

اليونانية فى دلتا مصر، وهناك التقى بمحظية مشهورة يُطلق عليها اسم «دوريشا» أو «دوريكا» ووقع فى غرامها، وصرف مبالغ طائلة من أجل تحريرها، وعندما عاد إلى وطنه وبصحبته هذه المحظية تزوجها ضارباً بتوسلات أخته «سافو» عرض الحائط مما كان سبباً فى شقائها.

**النفى والاستبعاد :**

فى عام 593 ق.م كانت «سافو» قد بلغت التاسعة عشر من عُمْرها، فكانت ذات شأن فى الحياة العامة، وكان لها نشاط سياسى مؤثِّر ؛ لذا فقد استبعدها الطاغية «بثاكوس» إلى مدينة «بيرا» . كما نُفيت للمرَّة الثانية إلى جزيرة صقلية عام 591 ق.م وهى فى سن الحادية والعشرين من عُمْرها وهى سن يكاد الإنسان يظنها فيها لا تستطيع أن تؤذى إنساناً !!

**«سافو» تؤسس أول مدرسة فى التاريخ لتعليم الفتيات فنون الشعر والموسيقى والرقص والتأهيل للزواج أيضاً :**

تاقت روحها إلى الحياة النشطة، فأسست «سافو» جمعية نسوية أطلقت عليها اسم «ثياسوس» Thiasos ضمت لها نساء كثيرات . وكسيدة أرستقراطية من «ميبلين» أنشأت مدرسة للفتيات تعلمهن فيها فنون الشعر والموسيقى والرقص.. وكانت أول مدارس «صقل» الفتيات فى التاريخ كلَّه . ولم تكن تُسمى الطالبات فيها تلميذات بل كانت تسميهن الرفيقات . لم يكن هذا هدفهن الوحيد من الحياة بل كان يؤهلن أنفسهن للزواج، وكان عندما تأتين للمدرسة تكتب لهن «سافو» أغنيات الزفاف وبعد ذلك تقطع علاقتها بهن . ولكن حتى يحين هذا اليوم فقد كن يعشن حياة منعزلة بعيدة عن مجتمع الجنس الآخر . كما أن أفكارهن وعواطفهن كانت متجهة ناحية بعضهن البعض، ورائدتهن «سافو» .

**شائعات تاريخية مغلوطة :**

عند البحث فى موسوعات علم النفس عن مصطلح الجنسيَّة المِثْليَة Homosexuality، وهى ميل الذكر للذكر أو الأنثى للأنثى جنسياً، نجد أن هناك علاقة تقوم بين الأنثيين وهى علاقة منحرفة مماثلة كثيراً ما تكون مصحوبة بالتباظُر أى احتكاك أعضائهما التناسلية وهو ما يُعرف باسم التَّساحُق Iesbismism أو Sapphism نسبة إلى جزيرة «ليسبوس» اليونانية التى تنتمى إليها شاعرتنا «سافو»، كما نجد أن هناك تضميناً بأن هذه الجزيرة اشتهرت بشعرائها الغراميين ممَّن أفاضوا فى وصف تلك العلاقات المِثْليَّة، ودُرجت «سافو» - للأسف - ضمن هؤلاء الشعراء!!

وبالتالى فقد نسب إليها عدد من المؤرخين تلك التهمة، وقد ساعدهم على إطلاق هذه الصفة عليها، علاقاتها القوية المشحونة بالعواطف الجيَّاشة بين تلميذات مدرستها وبينها ممَّا عزز إطلاق أو تصدير هذه الشائعة إليها، وممَّا يدعم هذه الشائعة أيضاً هو ما بقى من أشعارها خاصة قصيدتها لإحدى تلميذاتها أو رفيقاتها «أفيس» التى تقول فيها:

لقد أحببتك يا أفيس منذ زمن بعيد

وكذلك ما كتبته تحسد زوجها حيث تقول :

إنَّه سعيد ذلك الرجل الذى يجلس

بالقرب منكِ ويستمع إليكِ

وأنتِ تتحدثين

حديثكِ الفضى وتضحكين

وكذلك عندما تقول «سافو» :

لأنى إذا رأيتكِ لحظة قصيرة

خشع صوتى من فورى وانعقد لسانى

وسرَّت بين ضلوعى نار يحس بها

مَنْ حولى

ولا تبصر عيناىّ منها شيئاً

وتطن فى أذنى أمواج من الصوت

عالية

ويتصبب جسمى عرقاً

فيجرى أنهاراً

وترجف جميع أعضائى

ويصبح لونى أكثر اصفراراً

من لون العشب فى الخريف

وتنتابنى آلام الموت المترصد لى

فاضطرب وأضل فى سكرات الحب

أمَّا «أفيس» نفسها التى تركت مدرسة «سافو» فهى تقول :

وا حسرتاه، ما أتعس حظنا

أقسم لكِ يا سافو

أن فراقى إياكِ

كان على الرغم منى .

من وجهة نظرى فإن القصيدة بالفعل تحمل شحنات متدفقة من عواطف متأججة وملتهبة، تشعر بها «سافو» وتحسها تجاه رفيقتها المدعوة «أفيس» ولكن هذا لا يعنى أيضاً أنَّه وصف لعلاقة جنسية مِثْلِيَّة، فيمكننا أن نقول علمياً أن هناك علاقة عاطفية قد تقوم بين امرأة وأخرى نُطلق عليها «تعشُّق مثْلى» Homo-erotism أى علاقة



obeikandl.com

رومانسية متسامية، كما يمكن أن تكون هناك علاقة يمكننا أن نُطلق عليها اصطلاحياً «المحبَّة المِثْليَّة» Isophilia، أى حب الشخص لشخص من نفس جنسه حُبًّا خاليًا من العنصر التناسلى .

**«سافو» تخترع قيثارة .. ترافقها كلما غنت قصائدها :**

اخترعت «ساڤو» قيثارة بها واحد وعشرون وتراً كانت ترافقها دائماً كلَّما غنت قصائدها بين الناس، تقول «سافو» فى إحدى قصائدها :

أبلغى كل إنسان

الآن، اليوم، يأتى

فى عذوبةٍ سأغنى ،

لمتعة مَنْ صادقتنى .

**عن العشق والهوى .. «سافو» و«فايون» :**

تقول «سافو» عن العشق والهوى :

آمنت بما للعشق

من نصيبٍ فى

تألُّق الشمس

وعفتها .

لذا فقد خفق قلبها بحب بحار يُدعى «فايون» phaon . وقد حالت الظروف دون إتمام الزواج، وعليه فقد قيل إنَّها جُنت بسبب إخفاق قصة حبها هذه .

وتقول بعض الروايات أن هذا الرجل كان شاعراً، وقد نُفى معها إلى «بيرا» فى المرَّة الأولى، وما أن رآها حتى خفق قلبه بحبها، فأرسل إليها مسرعاً رسالة عشق وهيام قال فيها :

أى سافو ..

يا ذات التاج القرنفلى، يا طاهرة ..

يا ذات الابتسامة الحلوة

أُريد أن أحدثكِ فى أمرٍ، ولكن

الحياء يمنعنى أن أنطق به .

فكان جوابها أكثر جرأة وواقعية، حين قالت له :

لو كانت رغبتك طيبة ونبيلة

ولو كنت ألاَّ ينطق لسانك بما هو دنيء

لما أسدل الحياء على عينيك غشاوة

ولأفصحت عن رغبتك الطيبة العادلة .

وقد أخذ «فايون» يتغنى بمدحها فى قصائده وأناشيده، كما تغنت هى بحبه . ففى قصيدة رقيقة تقول «سافو» :

من الناس، مَنْ يُحبّ المال

ومنهم مَنْ يُحبّ جيوش الفرسان ..

وهى عائدة من ساحات القتال ..

لتعلن النصر على الأعداء ..

ومنهم مَنْ يعتقد أن أجمل شىء

على الأرض ..

هو رؤية جحافل المُشاة، أو سفن الحرب .

أمَّا أنا ..

فإن أجمل شىء هو ما يُحبُّه القلب



obeikandl.com

هو أنت وحدك : يا فايون ،

الذى أحلم أن أكون معه

وبجانبه على الدوام

لنقضى العُمْر سويًّا..

إلى الأبد ..

**«كليس» .. ابنة «سافو» الحبيبة .. دُرَّة زواج لم يدم طويلاً :**

تزوجت «سافو» من تاجر ثرى من «أندروس» يُدعى «سيركليس» Cercylas وأنجبت له فتاتها الوحيدة «كليس» . وقد ورثت زوجها بعد وفاته المبكرة، وعادت إلى «ليسبوس» بعد أن أقامت فى منفاها خمس سنوات وأصبحت زعيمة الحياة الاجتماعية والفكرية فى الجزيرة . كما عاشت أيضاً حياة الثراء والترف بعدما ورثت أموالاً طائلة من زوجها المتوفى، لذا تقول فى إحدى قصائدها :

أمَّا أنا، فليكن فى علمكم

أنى أُحبّ الحياة اللَّينة

وأرى أن النور والجمال ..

ممَّا تشتهيه النفس .

وربما جاء ذكر زوجها هذا فى بعض أشعارها المفقودة، أمّا ابنتها «كليس» فقد جاء ذكرها فى عددٍ من القصائد، نذكر منها هذه القصيدة :

نامى يا عزيزتى

عندى ابنة جميلة

هى كليس .. قُرة عينى

تلك التى تشبه الزهرة الذهبية

وهى كل شىء بالنسبة لى

وما كنت لأبدلها

مقابل مملكة «كرونيوس»

بكل ما انتشر فيها من عشق

ولا بثروة «ليديا» الفاتنة

أو «ليسبوس» رائعة الجمال

إنَّها كل شىء بالنسبة لى

وستبقى كل شىء على الدوام

**سمات «سافو» الشخصية :**

لم تشتهر «سافو» بجمالها، فقد كانت صغيرة الجسم، ضعيفة البنية، ولكن قوامها النحيل هذا قد أكسبها ملاحة وجاذبية . وكان شعرها وعيناها أشد سواداً ممَّا يحبه أهل اليونان . ولكن كانت تُسحر الناس برشاقتها ورقتها ودماثة خلقها ورجاحة عقلها . وكانت حنون وهادئة، وممَّا قالته عن نفسها : «إن قلبى كقلب طفل» .

كما كانت «سافو» مرهفة المشاعر والأحاسيس، وكان هذا سبباً فى الحد من حماسة عقلها . كما لم تكن ضيقة الأفق . واشتهرت بالتعبير الحار عن الحبّ فى صورته السامية المثالية .

**إبداع «سافو» الشعرى :**

بلغ ما أبدعته «سافو» تسعة كتب ضاعت بسبب الاضطهاد الذى صادفته، والنفى الذى عانت منه، وأحرق بعض ما تبقى منه، فلم يبق إلاَّ صدى تلك الأشعار ومقتطفات مبتسرة دوَّنها على لسانها معاصروها، تبلغ تقريباً ألف بيت.

وجاءت الفترة من 1897 م إلى 1900م ليعثر الباحثون عن الآثار فى مصر على



obeikandl.com

أوراق بردى تشتمل على مئات من سطورها الشعرية، لتعيد الحضارة المصرية القديمة تقديم تلك الشاعرة اليونانية، ولكى تثرى البرديات المصرية التراث الأدبى بالكنوز عبر لفائفها الورقية المكتشفة حديثاً .

**موضوعات شعرها :**

بالرغم من أن الجزء الأكبر من أشعار «سافو» كان يتصل بحياتها الشخصيَّة، إلاَّ أن هناك بعض الشذرات التى لا علاقة لها بهذه الحياة، ففى القصيدة التالية تتحدَّث الشاعرة عن جدوى أن يتحلى الثراء بالفضيلة، فيما يشبه الحكم والمُثل العليا :

إنَّ الثراء بلا فضيلة

ليس رفيقاً مأمون الجانب

ولكنهما لو اجتمعا معاً

يكونان قمة الحظ السعيد

ومِمَّا نسجله أيضاً بعض القصائد التى تنحى منحاً إنسانياً رقيقاً، فللشاعرة قصيدة مؤثرة عن الفراق والفقد، تتجلى فيها مشاعر الحزن الشديد، تقول «سافو» فى القصيدة:

سمعناهما تنشدان :

الصوت الأول :

أدونيس الصغير

يحتضر، آه سيتيريا

ماذا نفعل الآن ؟!

الصوت الثانى :

اضربن صدوركن

بقبضات الأكف ،

أيتها الفتيات

ومزقن ثيابكن !!

أمَّا الفتيات التى وردت أسماؤهن فى القصائد فهن تلميذاتها، أو مَنْ كن يشاركنها الطقوس الدينية، كما يبدو فى بعض القصائد، منها هذه القصيدة على سبيل المثال :

الآن، وبينما نرقص

تعالى إلينا

أيتها الرقيقات

«جاييتى»

«ريفرلى»، «راديانس»

وأنتن، رَبَّات الإبداع

بالشعر الحبيب

فى فجر الربيع

يبزغ القمر مكتملاً :

وتأخذ الفتيات

أماكنهن

كما لو كن يتحلَّقن

حول المصَلَّى .

**مميزات وخصائص شعرها :**

يستدل من شعرها على أنَّها كانت ذات عواطف جيَّاشة، وأن ألفاظها كما يقول «بلوتارخ» : «كانت تمتزج باللَّهب» . كما تميَّز شعر «سافو» بالبساطة والسيطرة الحذرة على العروض والاستعمال المكثف للصفات، والغنائية منقطعة النظير .



obeikandl.com

كما ابتكرت «سافو» مقطوعات عُرفت باسمها وهو ما يشبه الآن «الرباعيات»، وهو الشكل الذى أخذه عنها شعراء كثيرون منهم : «هوراس» Horace، و «كاتوللوس» Catullus .

وكان شعر «سافو» يُعنى أساساً بالحياة فى جماعتها، فقد كانت تكتب فى مناسبات مُحدَّدة ولأفراد معينين . وكانت أشعارها تعكس مشاعرها نحو جماعتها ونحو أفراد هذه الجماعة، ولذا يتحتم على مَنْ يريد فهم قصيدة من قصائدها أن يحاول أولاً أن يعرف الظروف التى كُتبت فيها هذه القصيدة . وقد يكون صواباً، وهو أمر سهل ميسور، تعميم معنى أشعارها وتطبيقه على مواقف إنسانية عامة .

**أهمية «سافو» ومكانتها :**

لقد شهد عصرها والعصور التالية لها فى اليونان اهتماماً بإنتاجها الأدبى، لقد كانت بلاد اليونان بأجمعها تُعظمها قبل مماتها وبعده أيضاً .

وقد عاشت أشعارها كل هذه القرون الطويلة وما زالت تحمل نفس الروعة والبهجة والطرافة التى كانت عليها وقت كتابتها لأول مرَّة .

«سافو» إذاً شاعرة من الطراز الأول، وتظل سيرتها حاضرة جيلاً بعد جيل . ورغم أن الحضارة الإنسانية عرفت شاعرات كثيرات إلاَّ أن «سافو» ظلت ألمع اسم فى تاريخ الأدب النسائى، إذا لم تلحق بها شاعرة إلاَّ بعد وفاتها بمئات السنين . كما أن البعض يعتبر أشعارها تفوق أشعار «هوميروس» بل كل شعر جاء على لسان رجل .

وحينما نقرأ أشعارها نكتشف على الفور كم كانت واثقة من فنها ومن نفسها. لقد كانت تلحن أشعارها وتغنيها أيضاً، كما أضافت للأوزان الشعرية المعروفة فى عصرها الوزن «السافونى» المعروف للآن.

**عمالقة عصرها .. ماذا قالوا عنها؟**

كان الفيلسوف العظيم «سقراط» يُسمى «سافو» بـ ( الجميلة ) وذلك لجمال

أشعارها وأغانيها . وقد كتب فيها الفيلسوف الكبير «أفلاطون» مقطوعة شعرية حماسية قال فيها:

**«يقولون أن رَبَّات الشعر تسع،**

**ألا ما أكثر غباءهم،**

**فليعلموا أن «سافو» الليسبوسية هى العاشرة».**

ويقول المؤرخ اليونانى «استرابون» : «كانت «سافو» امرأة فذة عجيبة، لأنى لا أعرف إن قد وجدت فى جميع العصور، التى وصل إلينا علمها، امرأة أوتيت معشار ما أوتيت «سافو» من النبوغ فى قرض الشعر وغنائه».

والمؤرخ المعاصر «ول ديورانت» يقول فى موسوعته الشهيرة «تاريخ الحضارة» : «إن الأقدمين إذا ذكروا لفظ الشاعر فإنهم يعنون «هوميروس» مؤلف الإلياذة والأوديسة، مثلما كانت الشاعرة الصفة اللصيقة «بسافو» .

**الرحيل :**

تقول بعض الروايات أن «سافو» قد ماتت منتحرة بعدما ألقت بنفسها من على جبل «ليو كادرن» بسبب أزمة عاطفية شديدة .

وقد ماتت الشاعرة على وجه التقريب عام 560 ق.م، عن عُمْر يُناهز 52 عاماً.